واجـــــه المؤتمر السادس (١٩٢٣) مشروع المعاهدة البريطانية ـ الحجازية وبرز جديا الصراع بين القيادة القومية التقليدية والقيادة الوطنية· وقد استطاعت الاولى فرض سياساتها وافشال قرار يدين الملك حسين ·

ادى هذا الخلاف الى تجزئة القيـــادة القومية وبداية نشوء الاحـــزاب ، الا ان « غياب التنظيم الحزبي حتى هذا الوقت يعود الى ان العناصر النشيطة في الميدان كان عليهـــا ان تستوعب التطـــورات السياسية ·· وبدء ارتباط محافل اجتماعية معينة بالانتداب » ·

ابرز توما علاقة الاحزاب الناشئـــة بالانتداب من جهة ، وبالحركة الصهيونية من جهة اخرى · فعينت بريطانيا الحاج امين الحسيني رئيسا لـ « المجلس الاسلامي الاعلى » (الهيئة العربية العليا فيمـــا بعد) وعينت راغب النشاشيبي رئيســـا لبلدية القدس ، وخلقت بذلك مركز قـــوة من جديد · ونشأ ايضا « الحزب الزراعي» « الذي زرع الفرقة بين المدينة والريف »، و « الحزب الوطني » و « حزب الاهالي » و « حزب الدفاع » · والى جانب دعـــم بريطانيا احزاب الاقطاعيين الكبار ، دعمت الحركة الصهيونية ماليا و « استشاريـــا » الحزبين الوطني والزراعي والجمعيـــة الوطنية الاسلامية ·

بعد ذلك « ينسف » توما مزاعم الحركة الصهيونية التي صورت الحركة القومية في فلسطين كحركة افندية ازاء بنـــاء صهيوني تقدمي ، فالصهيونية فـــي ممارستها اعتمدت على الافندية بالضبط، ومن صفوفهم خرج اولئك الذين باعـوا الارض واعطوا الضوء الاخضر لطـــرد الفلاحين من اراضيهم ·

اما في السنوات ١٩٢٥ ــ ١٩٢٨ ، التي تسمى سنوات « الهدوء » في فلسطين ، فلم تكن جمودا ، بل كانت الحركة القومية تشهد تفاعل القوى الاجتماعية فتفرز هذا التنظيم او ذاك وفي الوقت نفسه تواصل القيادة التقليدية العمل ·

ويتحدث عن دور الحزب الشيوعـــي الفلسطيني في الحركة القوميـة العربيـة الفلسطينية ، الذي على الرغـــم مـــن مطاردات السلطة له ، طرح امام الحركة القومية بديلا لسياسة المهادنة مع بريطانيا فحدد العدو الجوهري ولم يهمل الصهيونية او القيادة الرجعية العربية ·

يعرض لاحداث تمرد الفلاحين (١٩٢٩) وخلفيتها الاقتصادية والسياسية ، والتباعد الذي نشأ بين القيادة التقليدية والجماهير الشعبية ، ولمؤتمر العمال العـــرب الاول عام (١٩٣٠) ·

ويتابع توما عرض النضال الفلسطيني: الاضراب التاريخي وثورة (١٩٣٦) ، والرد العربي القطري والقومي على مخطط التقسيم وتراجع بريطانيا عنه ، ثـــم صدور الكتاب الابيض والحرب العالميـــة الثانية ووضوح التناقض بيـن المصلحـــة القومية للفلسطينيين والقيادة التقليدية ·

طوال تلك الفترة تتابع التضاد بيـــن الجماهير والقيادة السياسية · واتسمـت العلاقة بينهما بالفراق والاحتواء · تبدأ الاولى انطلاقتها وتتحول الى سيل عـارم وطني يهـــدد المصالح الصهيونيـــة والبريطانية ، ثم تأتي القيادة التقليديـــة لتركب الحركـة وتستثمرهـا سياسيـــا وتدفعها الى الفشل والهزيمة · ومنـــذ الثلاثينات ، وقف الانسان الفلسطينـــي بمجموعه الفلاحية اصلا والمدينية امـــام تآمر ثلاثي المحاور : الرجعية ، الاستعمار الصهيونيه ·

لقد قدمنا عرضا مقتضبا وموجزا ، لمادة الكتاب ، لكن هذا الشكل من العرض لا تمليه ارادتنا بل مادة الكتاب وشكلها ،